مدخل إلى تاريخ المسرح فى مصر

تعتبر نشأة المسرح نشأة دينية.. وأول ما عرف المسرح فى العالم عرف فى مصر الفرعونية.. عندما كانت تحوى الطقوس الدينية أثناء تحنيط الجثمان.. وكان الأمر يقتضى أن يحاكى بعض الكهنة شخصية الميت. وذلك لإمكانية إتمام هذه الطقوس.. وكانت هذه الطقوس تسير وفق برنامج معين.. يشبه نصوص المسرحيات.. كل فرد يعرف الدور الذى سيؤديه.. وقد عُرفت هذه المسرحيات باسم «مسرحيات الأسرار».

ويعتبر بعض المؤرخين المسرح الفرعونى بهذا الشكل لم يكن مسرحًا بالمعنى المفهوم.. إنما هو اللبنة الأولى لنشأة المسرح بشكله الذى عُرف به فى المسرح الإغريقى.. إلا أن بعض المؤرخين أكد إنه كانت هناك بعض النصوص تؤدى خارج المعابد.. مثل «مأساة إيزيس وأوزوريس».( )

المسـرح الإغريقـى :

انتقلـت عبارة الآلهة من المصريين الفراعنة إلى اليونان عبر جزيـرة كريت.. كما انتقل المسـرح إليهم أيضًا ولكنهم مارسـوا هـذه الطقـوس الدينيـة فـى الاحتفـالات بأعياد «ديونيسـوس».. وهـو إله الخصـب والكرم عنـد الإغريق.

وكان الإغريق يحتفلون فى أعياد «ديونيسـوس» ويبكونه حيـث أنه ضحى بنفسـه وقتله أعداؤه من أجل البشـر( ).. وكان هنـاك الاحتفـال عبارة عن مراثى تنشـدها الجوقة فى احتفـالات «ديونيسـوس» وقد ارتـدوا رؤوس الكباش ومعناه باللغة الإغريقية «تراجوس».

حتى جاء «تيسبس» بعربته الشهيرة وطاف بها فى البلاد فى احتفالات وأعياد «ديونيسـوس» ونظم الإنشاد بالحواث.. بحيـث كان يتكلم هو ومن خلفه الجوقة ترد عليه.. أو تكمل الإنشاد.. واعتبر هذا مولد المسرح.. وكانت هذه بداية التراجيديا.

ثم جاء من بعده «إسخيلوس» وأوجد الممثل الثانى ثم من بعده «سوفوكليس» الذى أوجد الممثل الثالث.

وكانت جميع المآسى أو التراجيديا مستوحاه من الأساطير الإغريقية.. وأبطالها هم الآلهة وأنصاف الآلهة والملوك.. وكانت تؤدى فى الاحتفالات بالأعياد الدينية كنوع من التظهير بالنفس().

ولمـا كتب «يوربيديس» مسـرحية (ميديا) واختار البطلة واحدة من عامة الشـعب اتهمـه بالكفر والإلحاد مما يؤكد أن المسـرح حتى هذه اللحظة كان دينيًـا وخصوصًا التراجيديا.

وإلى جانـب التراجيديا عُرفت الكوميديـا.. وإذا كانت التراجيديا تصور الناس أحسـن مما هم.. فإن الكوميديا تصور الناس أسـوأ مما هم.. ومن أشـهر كُتاب الكوميديا اليونانيين «أريستونانيس».

المسـرح عنـد العـرب :

لم يعرف العرب فى الجاهلية المسـرح بشكله الذى عرفه اليونانيـون.. وربما يرجع هذا إلى أنهم لم يعتنقوا دياناتهم.. ولكن العرب كانوا يمارسون فى احتفالاتهم وأعيادهم نوعًا آخر من المناظرة.. ألا وهو إلغاء المعلقات وإنشـادها.. وراح بعض النقاد إلى اعتبار المعلقات والمقامات نوع من أنواع المسـرح.

ولما جاء الإسلام حرم ظهور المرأة.. كما حرم التماثيل والسحر والتشخيص.. إلى آخر هذه العادات مما جعل العرب يبعدون تمامًا عن المسرح الإغريقي.. ولا يأخذونه من جملة ما أخذوه عنهم من حفاوة وعلوم الإغريق.. ولكن العرب لم يرفضوا الموسيقى.. بل تفوقوا فيها.. وفى الغناء.. وتاريخ المغنيين فى التاريخ العربى الكبير وحافل( ).

وربما حاول بعض العرب سواء فى مصر أو بلاد الشام أو العراق أو غيرها اتخاذ شكل آخر للتمثيل وذلك بعد ما عرفوه.. وحتى يمكن الهروب من موضوع التشخيص وحجاب المرأة.. وكان ذلك فى شكل «خيال الظل» أو «القراقوز» أو «السامر» أو «الحكواتى» أو «الإنشاد على الربابة».. ولكن شكل المسرح عند العرب كما هو معروف الآن صار مجهولًا حتى ظهر أول ما ظهر فى لبنان عام ١٨٤٨م( ).

مارون النقاش وأول مسرح عربى :

مارون نقاش (١٨١٧م–١٨٥٥م) مارونى مسيحى – زار البلاد الأوربية وخاصة إيطاليا وفرنسا.. وقد تأثر بالحضارة الأوربية.. وعاد إلى بلاده لبنان ليقدم أول مسرحية عربية

وكان اسمها (البخيل) وذلك عام ١٨٤٨م.. وهى مستوحاه من مسـرحية (موليير) المعروفة بنفس الاسم.. وقد كُتبت بالشعر ومُلحنة على طريقة (الأوبريت) .

إذن فالمسرح العربى أول ما عُرف.. عُرف في بيروت وقد صاحبته الموسـيقى.. وقد كُتب بالشعر سـواء باللغة العربية أو العاميـة.. كمـا كتب مارون مسـرحيتين ثانيتين هما (أبو حسـن المغفل، والحسود السـليط) ، وقدمت في العديد من (الجوقات المسرحية) .

وقد تأثر مارون بالكوميديا دى لارتى الإيطالية( ) (كوميديا الفن) التى اشتهرت فى إيطاليا فى عصر النهضة والتى كانت أساسًـا للمسـرح الكوميدى والهزلى الحديث فملأ مسرحياته بالنكات والشخصيات الهزلية.

وبعد مارون النقاش حمل اللواء من بعده أخوه نقولا نقاش وابن أخيه سليم نقاش.

أبـو خليـل القبـانى :

انتقل المسـرح إلى سـوريا حيث ظهر أبو خليل القبانى ليقدم المسـرحيات فى دمشق.. ولكنه حورب حربًا شعواء.. واتهم بأنه خرج عن التقاليد الإسـلامية.. والدعوة إلى الفسق والفجور.. مما جعله يغلق مسرحه سريعًا.. خوفًا من السلطات.

ولـم تكتفى هذه الفـرق بتجديد أماكن خاصة للسـيدات والشخصيات الهامة.. بل راعت فى تقديم المسرحيات الأجنبية أن تكون المسـرحيات ليسـت مترجمة.. بل مُصرت لتمثيل بشخصيات مصرية.. وسوف نتعرض لهذا الموضوع فيما بعد.

وكمـا قلنـا أن المسـرحيات كانت موسـيقية منـذ أيام مارون نقاش.. لإمكان جذب مشـاهدين جدد.. فقد اسـتغل أصحاب الفرق الشـامية رواج الأغانى والموسـيقى الشرقية.. فأدخلـوا بيـن فصـول المسـرحية الغنـاء لكبـار المطربين المصرييـن.. كما حدث مـع فرقة أبى خليـل القبانى التى اسـتعانت بعبـده الحامولى ليقـدم وصلة غنائيـة فى ختام عـرض مسـرحية (عنترة العبسـى) على مسـرح زيزينا يوم ٩ أغسـطس عـام ١٨٨٤م.. كما شـارك بالغنـاء معهم لمدة

عشــر ليــال أثناء حفــلات الفرقة بدار الأوبرا عــام ١٨٨٥م.

كما أن الفرق كانت تعد مســرحيات كثيرة لعرضها وذلك لشد اهتمام الجماهير.. وكان ذلك سببًا فى رواج حركة التأليف والترجمة فى المســرح.. وهذا ما سوف نتعرض له فيما بعد..

obeikan.com